العشاق الثلاثة

لعلي محمود طه

« الى ادعياء الحكمة والمعرفة
« الى المتطلعين للسماء لي انتظار المعجزة
« الى القابضين على الريح

سرى القمرُ الوضّاح بين الكواكب ... يُفكّرُ فيما تحته من غياهب
فناداهُ من وادي الخليّينَ هاتفٌ ... بصوت محبٍّ في الحياة مقارب
يقول له : يا روعة الحسن والصّبا ... وأجملَ أحلام الليالي الكواعب
أنا العاشقُ الوافي إذا جنّني الدُّجَى ... وراعيكَ بين النيّرات الثواقب
ألا ليتني حُرٌّ كضوئك أرتقي ... عوالمكَ الملأى بشتّى العجائب
ويا ليتَ لي كنزَ ابتساماتكَ التي ... تُبعثرها في الكون من غير حاسب !

***

فأصغى إليه الضوء في صفو جذلانَ ... وأضفى على الوادي شعاعَ حنان
وجاسَ خلال السُّحْب والماء والثرى ... فلم يرَ في أعطافها وجهَ إنسان
فنادى به : يا صاحبي ضلَّ ناظري ... فأين تُرى ألقاكَ أم كيف تلقاني
فأوما له إني هنا تحت شرفتي ... وراءَ زجاجيها أخذتُ مكاني
أبى البردُ أنْ استقبلَ الليلَ قائماً ... وأن أنزلَ الوادي بحيث تراني
وحسبُ الهوى من عاشقٍ لك وامقٍ ... تَرَوُّدُ عيني من سنا ضوئك الحاني !

***

فألقى عليه الضوء نظرةَ حائر ... وأعرضَ عنه بابتسامةِ ساخر

وقال له : يا صاحبي قد جلتني ... ويا ربّ شعرٍ ساقهُ غيرُ شاعر
انا الموثقُ المكدود طالت طريقه ... طسريقُ اسيرٍ في رعاية آسر
تجاذبني طاحونةُ الشمس كلما ... وقفتُ . وتمضي بي سياطُ المقادر
وما بستي إلاّ دموعُ من النظى ... فدالتمعتْ في وجهِ سهمانَ ساهر
فدعْ عنك يا أعجوبة الحبِّ عالمي ... فقلبيَ لم يَدرِ الاعاجيبَ نظري !

***

وأمعنَ في تكبيرهِ القمرُ الزاهي ... فمرّ بأرضٍ ذات عشبٍ وأمواه
يناجيه منها عاشقٌ ذو ضراعةٍ ... مناجاةَ صوفيٍّ لعينيهِ إلهه
يقول له : يا مُشهدي كلَّ ليلةٍ ... جمالَ محيًّا رائعِ الحسنِ تيّاهِ
شبيهٌ بهذا الضوءِ نورُ جبينهِ ... على أنّهُ في الناسِ من غيرِ أشباهِ
ورسمُ لي الاشباحُ طيفَ خياله ... فأدنو لضمٍّ او لثمِ شفاهِ
تمنّيتُ لو وسّدتُ خدّكَ راحتي ... وصدرُكَ خفّاقٌ وجفنُكَ ساهي

***

فرفّ على الوادي الشعاعُ طروبا ... وغادرهُ من بين الظلالِ مُحيبا
أزِحْ هذه الاغصانَ عنك لعلني ... أصافحُ وجهاً من هواكَ حبيبا
فجاوبه : يا قُرّةَ العينِ إنني ... قد اخترتُ من شطِّ الغديرِ كثيبا
اذا أنعبتْ عيني السماءَ تطلّعاً ... وخامستْ لحظاً للنجومِ سُريبا
فني صفحاتِ الماءِ نهزةُ عاشقٍ ... يراكَ على بُعدِ المزارِ قريبا
خلوتُ بدرٍ أرعاكَ أوفى قسامةً ... وأوفرَ من سحرِ الجمالِ نصيبا !

***

فغاض ابتسامُ الضوءِ من فرطِ حيرةٍ ... وصاح نجيّي أنت حقّرتَ سيرتي

هو الكونُ مرآتي وحبلى مفاتني ... وما لقديرٍ ان يمثّلَ صورتي
وما نَظرَ العشّاقُ إلاّ بأعينٍ ... تُعَظّمُ في المعشوق كلَّ صغيرة
أعيذُ الذي شبّهتني بجماله ... أديمَ مُحيًّا مثلَ صمّاء صخرتي
أنا الفحمةُ البيضاء ان جنّني الدُّجى ... انا الحمّةُ السوداء رأد الظهيرة
فَدَعْ عالمَ الافلاك واقنع بلجّةٍ ... وغازلْ من الاسماك كلَّ غريرة !

***

وبينا يهيمُ الضوء في سبحاته ... وقد غطّ هذا الكونُ في سخرياته
رأى شبحاً في قرب نارٍ كأنما ... يودّع طيفاً غابَ عن نظراته
عدتْ ذراعيه ، ويُرسلُ صوته ... بلوعةِ قلبٍ ذابَ في عبراته
الى القمر الساري مُحيّاه شاخصٌ ... كصاحبِ نُسكٍ غارق في صلاته
فقام عليه الضوء واستهلَ الخُطى ... وأجرى سناه الطلْقَ في قسماته
وصاح به : يا شيخُ ما أنت قائلٌ ... تكلّمْ : فانّ الليل في أخرياته

***

فقال له : يا باعث الحبِّ والمنى ... سلمتَ وحيّتك العوالمُ والدُّنى
شفيتَ جوى شيخٍ أحبك يلتقي ... وعاش بهذا الحبِّ جذلان مؤمنا
وأفنيتُ عمري أرتقي عاليَ الذرى ... إلى انْ بلغتُ اليوم مثواي ههنا
وأوقدتُ ناري كي تراني وأثني ... لأطلق ألحاني وأدعوك موهنا
وقيلَ ضنينٌ لا يجودُ بوصله ... فهأنذا ألقاك يا ضوءُ محسنا
تساوتْ كلابٌ تنبح البدرَ سارياً ... ونوّامُ ليلٍ أنكروا آية السنا !

***

فحدّقَ فيه النور وارتدّ مغضيا
وقال له أفنيتَ في سخطك الصبا
ولمّ تُرحْ جفناً من السهد مغمضا
وسخريةٌ بالنار أن تتقربا
كأنّ شعاعي في جفونك قد خبا
ومن عيث مثواك في هذه الرُّبى
على حين لم تبلغْ من النور مرقبا
وما كنتَ إلاّ الوامق المسترقبا
وقالَ عشاقٍ بهم ضقتُ مذهبا
وكانوا لأمثال الخليّين مضربا
فوآسفا، ما كنتُ في الدهر مذنبا
فأجزى بنجوى من تعشّق أو صبا
وساقَ على حي الدليل المكذّبا
سَلِ العاصيَ الهاوي من الخلد هل نبا
به الليلُ لمّا آثر الأرضَ واجتبى ؟
أبصر قبلي في الدجنّة كوكبا
أضاء له الدّربَ السحيق المشعّبا
وهل في سنا غيري تملّى وشبّبا
بحمراء واهتاج اليراعَ لمثقبا
حوتهما روحاً طريداً معذّبا
فذابَ حيالي منهما وتصبّبا

وأورثني هـذا الشحوبَ وأعقبا
رأيت فتًى يدنو ووجهاً تخضبا
وجسمين ذابا شهوةً وتلهبا
وصدراً خفوقاً فوق صدرٍ توثبا
غرائزُ فيها الغيُّ والنقصُ رُكِّبا
تَلمَّسُ في ضوئي الأنامَ المُحببا
فيا شيخ دَعْ هذا الوشاحَ المذهّبا
تراخَأ المنونَ في الكأس ذُوّبا
طفا الراح فيه والتراب ترسّبا
وإنَّ كلابَ الأرض أشرف مأربا
يثيرُ لها ضوئي الظلامَ لتجنبا
خُطى اللصِّ يستار الطريقَ المحجّبا
فإن نبحت ضوئي تسمّتُ معجبا
بأدخم لحنٍ رنَّ في الليل مطربا
تحيّةَ مُثنٍ بي أهلٌ مرحّبا
بني آدم إن لم يكن آدم الأبا
رجعتُ لكم من عالم الرجس مهربا
وآثرتكم بالكلبِ جَدًّا مهذَّبا
وأجملَ بالانسان ان يتكلبا

***

ومالَ عن الارضِ الشعاعُ وغرَّبا ووسوسَ في صدرِ الدُّجى فتأبا